نظريات دراسة المعنى

لقد ظهر في ميدان الدرس اللساني عند الفطريات الدلالية التي حاولت أن تبين حقيقة المعنى وماهيته، وهو ما أدى إلى بروز عدد من الضربات الدلالية التي تحاول قدر الإمكان - عقلنة المعنى، والقبض على الكيان المعنوي، وقد تباينت وجهات نظرها في فهم المهني وتعددت رؤاها تبعا للمنطلقات النظرية التي تنطلق منها، ومن أهم هذه النظريات هي:

النظرية الإشارية

ترتبط هذه النظرية بالعالمين البريطانيين أوجدن وريتشاردز اللذين أشارا إلى ما تتصف به مشكلة المعنى من تعقيد، وذكرا له زهاء ستة عشر تعريفاً [١]. وعبَّر أوجدن وريتشاردز عن نظريتهما في المعنى من طريق الثالوث العلائقي، الذي أسمياه مثلث الإحالة " لأنّ الدلالة في نظرهم في هذا الإرجاع الى مرجع معين [٢] ويربط المثلث بين الرمز والفكرة والشيء أو المرجع[٣] فالرمز وهو الدال عبارة عن شكل صوتي منطوق مسموع، أو شكل بصري مكتوب مقروء، أمّا الفكرة فهي المفهوم أو المدلول، وهي الصورة أو الصفات التي يختزنها الدماغ لشيء ما، والمرجع عبارة عن المشار إليه أو المدلول عليه، وهو موجود خارج الذهن، وخارج البنية اللغويّة [٤] ويرمي أوجدن وريتشاردز من هذا المثلث إلى القول إنّه ليست هناك علاقة مباشرة بين الرمز والمرجع، وقد رمزا إلى ذلك بخط منقوطة [٥]، إنّ الجوهري في نظرية أوجدن وريتشاردز هو ادخان فكرة المرجع في العملية الدلالية، وهو ما كان قد أهمله دي سوسير، وقد تعرضت هذه النظرية إلى انتقادات من ادن عدد من الباحثين، من ذلك أنها تقوم على أساس دراسة الموجودات الخارجية، ولكي نعطي تعريفا للمعنى على وفق هذه النظرية لابد أن نكون على علم دقيق بكل شيء في عالم المتكلم، فضلا عن أنها لا تستطيع بيان معاني عدد من الكلمات مثل (لو، إلى، ولكن، وأو...) لأن هذه الكلمات وغيرها تشير الى موجودات خارجية، بل معناها مما يمكن أن يفهمه السامع والمتكلم.

النظرية السلوكية:

---

(١) ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي١٢٦.

(٢) ينظر: اللغة والدلالة ٤٥.

(٣) ينظر: دور الكلمة في اللغة ٩٣، ومنهج البحث اللغويّ ١١٣.

(٤) ينظر: مدخل الى علم اللغة١٢٤-١٢٥.

(٥) ينظر: البحث الدلالي عند ابن سينا ٩٠.

تعطي النظرية السلوكية اهتماماً للجانب الذي يمكن ملاحظته، وهي بذلك تخالف النظرية

التصورية التي تركز على الفكرة أو التصور. والسلوكية تشكلت في كل مصطلح ذهني مثل العقل والتصور والفكرة. وتقوم النظرية السلوكية على مبدأ المثير والاستجابة، ويُطلق المثير على الأحداث التي تسبق الحدث الكلامي، وتكون سببا في كلام المتكلّم، أمّا الأحداث التي تلي الكلام فتدعى الاستجابة [٦] ويُعدّ اللساني الأميركي ليونارد بلومفيلد واحدًا من أبرز المتأثرين بمبادئ النظرية السلوكية، إذ سعى إلى تطبيق آراء السلوكيين على اللغة [٧]، وشرع ببث تلكم الآراء في كتابه (اللغة) الصادر في لندن عام ١٩٣٣م، واتبع في كتابه - كما يقول روبنز - منهجا أمبريقيا (تجريبيًا) ((يركِّز بشكل مدروس على تلك الجوانب من اللغة التي يمكن أن تُعالج على نحو تامّ بناء على الأسس الأمبريقية كما فهمها هو))[٨] ، وقد أدَّاه منهجه هذا الى التركيز في الجانب الفيزيائي من اللغة، مثل الصوت والصرف والتركيب؛ لأنّ هذه المستويات هي الأكثر ملاءمة للفحص الموضوعي المنضبط، هي جوانب مُلاحَظة ومُدركَة بشكل عام [٩]. ويمتدح جفري سامسون هذا الجانب من... السلوكية، ويصفه بأنّه جانبٌ جيدٌ، ولم يكن مصدر ضرر للسانيات، ((في علم الأصوات الوظيفي وعلم الصرف وعلم النحو كان الجانب الجيد من السلوكية هو المطلوب، ففي كل هذه المجالات كان لسلوكية بلومفيلد تأثيرٌ حميدٌ، جعل من اللسانيين يُظهرون تحليلاتهم من الاعتماد على الحدس، أو الحكم الشعبية المتوارثة، وبذلك أصبحت التحليلات علمية أصيلة...)) [١٠] .

تمثِّل اللغة من منظور بلومفيلد مثيرًا للكلام واستجابة لهذا المثير، فالمتكلّم عندما يتكلّم يفعل ذلك استجابة لمثير خارجيٍّ، ويصبح كلامه بالنسبة إلى المتلقي مثيراً يتطلَّب استجابة. وكذا دواليك [١١]وقد أوضح بلومفيلد الطريقة التي تُستعمل فيها اللغة من طريق مثاله المعروف عن جاك جاك وجيل والتفاحة، يقول: ((نفترض أنَّ جاك وجيل يسيران في طريق، وجيل تستشعر الجوع، ترى . جيل تفاحة على شجرة، فتُحدِث ضجة بحنجرتها ولسانها وشفتيها، فيقتز جاك من على السور،

---

(٦) ينظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب٢٥.

(٧) ينظر: البنيوية في اللسانيات ١٠٠، واتجاهات البحث اللساني ٢٧٨، والمعنى وظلال المعنى ١١٤.

(٨) موجز تاريخ علم اللغة ٣٦١، وينظر : جومسكي ٣٧. "

(٩) ينظر: اتجاهات البحث اللساني ٢٧٨، وموجز تاريخ علم اللغة ٣٤١.

(١٠) مدارس اللسانيات ٦٤، وينظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ٢٧.

(١١) ينظر: المعنى وظلال المعنى ١١٤، واللسانيات والدلالة ١٧٨،.

ويتسلّق الشجرة، ويقطف التفاحة، ويُحضرها لجين، ويضعها في يدها، فتأكل جيل التفاحة)) [١٢] . إنَّ استعمال اللغة - كما هو واضح عند بلومفيلد - يخضع لنظرية المثير والاستجابة، فشعور جيل.

النظرية السياقية:

ترتبط النظرية السياقية باللساني البريطاني " جون روبرت فيرث " (١٨٩٠م-١٩٦٠ م) وهي ترفض دراسة اللغة دراسة تكتفي بتحليلها إلى مستويات جزئية، صرفية وتركيبية ودولية مستقلة، وإنّما تدعو إلى دراستها في بعدها الثقافيِّ والاجتماعيِّ والنفسيِّ . وتُعدُّ نظرية السياق (context theory) التي دشنها فيرث الإسهام الحقيقي للمدرسة الانجليزية، في مقابل الاسهامات الأوروبية والأمريكية الأخرى، إذ هيأت هذه النظرية المدرسة الانجليزية لتكون المدرسة اللغوية الرابعة، إلى جوار المدارس اللغوية الكبرى في براغ وكوبنهاكن وأمريكا[١٣].

---

(١٢) علم اللغة (السعران) ٣٠٠-٣٠٩، وينظر: المعنى وظلال المعنى ١١٤.

(١٣) ينظر: دلالة السياق ١٨٩.

ويُقسَّم السياق على قسمين:

١.السياق اللغوي.

٢. السياق غير اللغوي، أو سياق الموقف، أو سياق الحال.

والمفهوم الأول هو الأكثر شيوعا عند الدارسين، فهو الجوانب التقليدي والبدهي، عندما يُثار السؤال الآتي: ما السياق؟ إنّه سلسلةُ من التتابعات اللغوية التي تحفُّ بالكلمة، وتساعد في الكشف عن معناها[١٤]. غير أن الباحثين تجاوزوا هذا المفهوم إلى مفهوم أرحب، أصبح السياق بمقتضاه يدل على مجموعة الظروف التي تحيط بالحدث اللغوي، والتي تُسهم في تحديد معناه، والوقوف على قصد المرسِل، ومرجع العلامات...إلخ [١٥]. فالسياق إذن هو المحيط الذي تقع فيه الوحدة اللغوية، سواء أكانت كلمة أم جملة، في إطار من العناصر اللغوية وغير اللغوية، وهو مقابل للمصطلح الانجليزي context لقد مثَّلت جهود الأنثروبولوجي البولندي برونسلاو مالينوفسكي (١٨٨٤م-١٩٤٢م) البداية الحقيقية لفكرة سياق الموقف[١٦] ، وذلك عندما حاول ترجمة كلمات مستقلة من إحدى اللغات البدائية إلى سكان جزر تروبرياند، في جنوبي الباسفيك، ففشل في إقامة ترجمة مرضية للنصوص

---

(١٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب .٤.

(١٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب .٤-٤١، والنص والخطاب والإجراء ٩١.

(١٦) ينظر: موجز تاريخ علم اللغة ٣٤٩.